❖ مرحلة الطفولة المبكرة (٢ - ٦ سنوات)

تمتدُّ هذه المرحلة منذ نهاية العام الثاني من عمر الطفل، وحتى بداية العام السادس من عُمره، وهي تُعتبَر مرحلة مهمّة تشهد نُموًا سريعًا، وبشكل خاصّ من الناحية العقليّة، حيث تبرز لدى الطفل مهارة تكوين المفاهيم الاجتماعية، وزيادة الميول نحو الحرّية، والاتّزان، وظهور الأنا الأعلى، ونُموّ الذات، واللغة، وغيرها من الأمور. وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت هذه المرحلة سويّة يملأها الاستقرار العاطفيّ والنفسيّ، فإنّ شخصيّة الطفل ستغدو قويّة، ونامية، ومُتفتِّحة. وفيما يأتي أبرز مظاهر وخصائص النمو في هذه المرحلة:

أولاً: النموّ الجسمي

يتضح النمو الجسمي والحركي في عدّة نقاط، من أبرزها: يزداد الوزن لدى الذكور أكثر من الإناث في هذه المرحلة –على الرغم من أنّ الوزن يزداد سبعة أضعاف الوزن عند الولادة لدى كليهما؛ نتيجةً لنُموّ العضلات لديهم. وتنمو الأسنان المُؤقَّتة بشكل كامل، فيصبح الطفل قادراً على تناول الطعام. ويزداد نموّ العظام لدى الطفل، فيتغيَّر شكله من طفلٍ رضيع، إلى طفلٍ صغير. ويتفوّق نموّ الجهاز العصبيّ للطفل على باقي الأجهزة في جسمه. وتبدأ الأسنان المؤقَّتة بالسقوط مع نهاية هذه المرحلة، وتبدأ الأسنان الدائمة بالحلول محلّها. ويتمكّن الطفل في سنّ الثالثة والرابعة من الأكل دون مساعدة، والاستجابة لتوجيهات الوالدين، وضبط عمليّة الإخراج. ويمكن للطفل في سنّ الخامسة أن يسيطر إلى حد ما على العضلات الدقيقة.

ثانيًا: النمو الحركي

يوضح الجدول التالي مظاهر النمو الحركي في مرحلة الطفولة المبكرة بالسنوات:

العمر بالسنة	مظاهر النمو الحركي
٢–٣	يصعد وينزل السلالم وحده، ويبني برجًا من ٨ مكعبات في تآزر حركي، ويقف على رجل واحدة، ويقلد خطًا أفقيًا.
٤	يستخدم القلم، ويقلد رسم دائرة، ويطوي قطعة ورق رأسيًا وأفقيًا، ويجري بسرعة، ويستدير بزاوية حادة، ويقف وقوفًا مفاجئًا،

	ويمشي على أطراف أصابعه، ويركب الدراجة ذات الثلاث عجلات، ويبني برجًا من ١٠ مكعبات.
٥	يقلد الرسم، ويتبع ممرات الطرق المرسومة، ويزر الزرايز، ويقفز في أثناء الجري، ويطوي ورقة مربعة إلى مثلث، ويرسم دائرة.
٦	يقلد رسم مثلث، ويقلد رسم مربع، ويربط الحذاء، ويرسم صورة إنسان بسيطة، ويقلد رسم معين.

ثالثًا: النمو العقلي

يلاحظ تكوين المفاهيم Concept Formation في مرحلة الطفولة المبكرة، مثل مفهوم الزمن، ومفهوم المكان أو الاتساع، ومفهوم العدد (حتى ٥ على الأقل في سن الخامسة و١٠ على الأقل في سن السادسة)، والأشكال الهندسية، وبالتدريج يستعين الطفل باللغة النامية لديه وخبراته في تكوين مفاهيم تتضمن المأكولات والمشروبات والملبوسات والشخصيات وما شابه ذلك. ومعظم هذه المفاهيم حسية، أما المفاهيم والمعاني المجردة فلا تأتي إلا فيما بعد.

ويتطور نمو الذكاء، ويكون إدراك العلاقات والمتعلقات عمليًا وبعيدًا عن التجريد، ويستطيع الطفل التعميم ولكن في حدود ضيقة، ويقول بياجيه Piaget أن الذكاء في هذه المرحلة وما بعدها يكون تصوريًا تُستخدم فيه اللغة بوضوح ويتصل بالمفاهيم والمدركات الكلية.

وتزداد قدرة الطفل علي الفهم فيستطيع فهم الكثير من المعلومات البسيطة وكيف تسير بعض الأمور التي يهتم بها. وتزداد مقدرة الطفل علي التعلم من المحاولة والخطأ والخبرة.

ويلاحظ في أول هذه المرحلة عدم المقدرة على تركيز الانتباه، ثم تزداد بعد ذلك مدة الانتباه ومجاله.

أما عن الذاكرة فيلاحظ زيادة التذكر المباشر. ويكون تذكر العبارات المفهومة أيسر من تذكر العبارات الغامضة، ويستطيع الطفل تذكر الأجزاء الناقصة في الصورة، ويكون تذكر الكلمات المفهومة أيسر من تذكر الكلمات غير المفهومة ويسير تذكر الأرقام حسب الجدول التالي:

العمر بالسنة	عدد الأرقام

٢	٢.٥
٣	٣
٤	٤.٥

وأما عن التخيل فيلاحظ أن اللعب الإيهامي أو الخيالي وأحلام اليقظة تميز هذه المرحلة، ويلاحظ فيها قوة خيال الطفل. حيث يطغى خياله على الحقيقة. ويكون الأطفال في هذه المرحلة مولعون باللعب بالدمى والعرائس وتمثيل أدوار الكبار، فالطفل يرى دميته التي يلعب بها رفيقة له يكلمها ويلاطفها ويثور عليها، ويعتبر عصاه حصانًا يركبه، ويري في القصص الخيالية واقعًا.

ويكثر الأطفال في هذه المرحلة من اللعب مثل ألعاب المنزل والأسرة، والطبيب والمريض، والشرطة واللصوص... إلخ، وكثيرًا ما نرى الأطفال يلعبون ويمثلون شرب الشاي في أقداح مُتخيلة أو يشربون من أكواب فارغة، ويمثلون بيع وشراء لعبهم... وهكذا.

ويكون التفكير في هذه المرحلة ذاتيًا ويدور حول نفسه، ويبزغ في هذه المرحلة التفكير الرمزي، إلا أن التفكير يظل في هذه المرحلة خياليًا وليس منطقيًا حتى يبلغ الطفل السادسة.

العوامل المؤثرة في النمو العقلي:

إلى جانب الناحية الصحية العامة وأسلوب التربية والتعليم والظروف والتغيرات البيئية والدافعية والفرص المتاحة، لوحظ في بعض البحوث أن رعاية الطفل تربويًا في الحضانة أفضل من بقائه في المنزل، فيما يتعلق بالنمو العقلي.

وقد أشارت أبحاث فرنون Vernon (١٩٦٧) إلى تأثر نمو الذكاء باختلاف البيئات الجغرافية والثقافية المختلفة.

وتلعب الأم دورًا هامًا في هذه المرحلة كمدرسة خاصة لطفلها في عملية التنشئة الاجتماعية والنمو اللغوي ونمو الانتباه وتعلم الحياة نفسها.

وقد لوحظ أن غياب الوالد عن الأسرة، حتى إذا كان ذلك الغياب جزئيًا بسبب ظروف العمل مثلاً، يؤثر تأثيرًا سلبيًا على النمو العقلي للطفل، كذلك وُجد أن الأثار السلبية لغياب الأب أو فقدانه يضاعفها انحراف الأم أو رفضها الطفل.

ويؤثر المستوي الاجتماعي الاقتصادي المرتفع تأثيرًا إيجابيًا مساعدًا في النمو العقلي المعرفي، والعكس صحيح.

رابعًا: النموّ اللغوي

حيث يساعد هذا النوع من النموّ على تعبير الطفل عن ذاته، والتفاعل مع الذين يحيطون به، إضافة إلى إنشاء العلاقات الاجتماعيّة، وتسهيل النموّ المعرفيّ، والعقليّ لديه؛ حيث إنّ الكلام دليل على النموّ العقليّ، ومن الجدير بالذكر أنّ النموّ اللغويّ لدى الطفل يتأثّر بعدّة عوامل، منها: توفُّر وسائل الإعلام، وتفاعله مع الكبار، وتفاعله مع بيئته التي تحيط به، والجنس الاجتماعيّ؛ وذلك لأنّ الإناث يُعتبَرن أفضل نُطقًا، وأسرع حديثًا.

ويوضح الجدول التالي مظاهر وخصائص النمو اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة:

العمر بالسنة	مظاهر النمو اللغوي
٣	زيادة كبيرة في عدد المفردات، وإعطاء صفات وأمثلة كثيرة، وظهور قواعد لغوية مثل الجمع والمفرد.
٤	تبادل الحديث مع الكبار، ووصف الصور وصفًا بسيطًا، والإجابة عن الأسئلة التي تتطلب إدراك علاقة.
٥	تكوين جمل كاملة تشمل معظم أجزاء الكلام.
٦	معرفة معاني الأرقام، ومعرفة معاني الصباح وبعد الظهر والمساء والصيف والشتاء.

خامسًا: النموّ الانفعالي

تتصف الطفولة المبكرة بمجموعة من الخصائص، أبرزها: كثرة الانفعالات، وسرعتها لدى الطفل، على الرغم من عدم استمرارها لفترة طويلة؛ وذلك نتيجة للعوامل الداخليّة، كتأثُّر الطفل بمن حوله، أو العوامل الخارجيّة، كأسلوب تعامُل الوالدين معه.

وقد تعرقل مشاعر الخوف اعتماد الطفل على نفسه، أو استقلاليّته، إذا كانت غير طبيعيّة، أمّا إن كانت طبيعيّة، كالخوف من الحيوانات، فهو أمر صحّي له. وتظهر مشاعر الغيرة التي تنتاب الطفل عند قدوم مولود جديد، ومشاعر الغضب، سواء باللفظ، أو بالعدوان، كما يكون نوم الطفل غير مستقرٍّ في هذه المرحلة.

سادسًا: النمو الاجتماعي

تزداد علاقات الطفل الاجتماعية في هذه المرحلة، سواء مع أسرته أو مع رفاقه، ويتعلم الطفل للعديد من المفاهيم الاجتماعية، ويندمج في العديد من الأنشطة والخبرات التي تساعده لكي يتحوَّل إلى كائن اجتماعيّ. ويكتسب الطفل العديد من السلوكيّات، والقِيَم، والاتّجاهات، والأخلاق؛ بسبب ما يتعرَّض له من أساليب اجتماعيّة في التنشئة، مثل: التقليد، والثواب، والعقاب، وغيرها. وتظهر صفة التعاون لدى الطفل؛ حيث يكون مُدركًا لوجود الآخرين.

ويتميز بعض الأطفال بالقيادة، والزعامة، بينما يحب البعض الآخر الانعزال؛ وذلك لأنّ شخصيّة الطفل تكون قد تكوَّنت معالمها وخصائصها الأساسية عند اقتراب موعد دخوله إلى المدرسة. ويظهر ارتباط الطفل بأمّه بشكل وثيق؛ حيث تشكِّل مصدر إشباع الحاجات لديه، إلّا أنّ اعتماده عليها يقلّ تدريجيًا مع تقدُّمه في العمر، ويتمكّن من زيادة استقلاله في حال تمكُّنه من المشي والتحرُّك.

وتظهر لدى الطفل في هذه المرحلة صفات العناد، والعصيان، والعصبية، والغضب. كما تظهر الفروق الفرديّة بين الإناث، والذكور؛ فنجد أنّ الإناث يصبحن عنيدات، بينما يصبح الذكور أكثر تخريبًا. وتتكوّن لدى الطفل خاصيّة التنافس، والتي تبلغ أوجها في سنّ الخامسة. ويفضِّل الطفل في هذه المرحلة الاستقلاليّة في بعض الجوانب، كتناول الطعام، وارتداء الملابس، إلّا أنّه يظلّ مُعتمدًا على الآخرين بشكلٍ كبير، مع مراعاة أنّه نظرًا لاختلاف الخصائص الشخصيّة، فإنّ هذه الاستقلاليّة لا تتحقّق للأطفال كلّهم.

❖ مرحلة الطفولة المتوسطة (٦ – ٩ سنوات)

تمتدّ هذه المرحلة من سنّ السادسة وحتى سنّ التاسعة، وينتقل الطفل في هذه المرحلة من المنزل مباشرة أو روضة أطفال إلى المدرسة الابتدائية. وتتميز هذه المرحلة بتعلم الطفل للمهارات الجسمية، وتعلم المهارات الأكاديمية كالقراءة والكتابة والحساب، وتتسع البيئة الاجتماعية نتيجة الخروج إلى المدرسة والمجتمع، والانضمام لجماعات جديدة وزيادة الاستقلال عن الوالدين.

أولاً: النمو الجسمي

تتميز هذه المرحلة ببطء النمو الجسمي نسبيًا وسرعة في نمو الذات، ويذكر حامد زهران (١٩٩٩، ص ٢٣٧) أهم مظاهر النمو الجسمي لهذه المرحلة فيما يلي:

تكون التغيرات في جملتها تغيرات في النسب الجسمية أكثر منها مجرد زيادة في الحجم، فيزداد حجم الرأس وتصل لحجم رأس الراشد، ويتغير الشعر الناعم ليصبح أكثر خشونة.

ويزداد طول الأطراف حوالي ٥٠% من طولها في سن الثانية، ويزداد الطول بنسبة ٥% في السنة ويزداد الوزن بنسبة ١٠% في السنة. وتتساقط الأسنان اللبنية وتظهر الأسنان الدائمة، وتبدأ الفروق الجسمية بين الجنسين في الظهور.

ثانيًا: النمو الحسي والحركي

في هذه المرحلة تنمو حاسّة اللمس بشكل قويّ، ممّا يساعد الطفل في التعرُّف على العالَم المُحيط به. كما تنمو عضلات الطفل الكبيرة بشكل ملحوظ، فيمارس الأطفال نشاطات حركية زائدة، وتتهذب الحركة وتختفي الحركات الزائدة غير المطلوبة.

وفي بداية هذه المرحلة يستطيع الطفل السيطرة على عضلاته الكبيرة سيطرة تامة ويقدر على التحكم فيها، في حين أن سيطرته علي عضلاته الدقيقة لا تحصل بشكل تام الا في سن الثامنة، لذلك نرى الطفل في الصف الأول الابتدائي يخلط بين كتابة حرف الـ (م) مثلاً وحرف الـ (ع) وكثير من الحروف الأخرى قريبة الشبه، وذلك بسبب عدم نمو عضلات أصابع يديه وعدم قدرته علي التنسيق بينهما وبين عينيه.

وتعتمد النشاطات الحركية للطفل علي نضجه الجسماني وعلى نمو شخصيته. وتتأثر أيضًا بهيئة جسم الطفل، إذ كلما تقدم سن الطفل ازدادت قدرته على حفظ التوازن في النشاطات التي تتطلب المهارة وعلى تجنب السقوط، ويأخذ الجسم طريقه إلى تحقيق التوازن الثابت.

ويتعلم الطفل أيضًا في هذه المرحلة بعض المهارات الحركية منها ما يلي:

١- القفز:

يمثل دليلاً لنمو الاتساق الحركي، وأحد المقاييس التي تستخدم في قياس هذه المهارة هي القفز العمودي أو الرأسي، حيث يجب أن يقف الطفل مسطح القدمين مع رفع يديه على رأسه ويقفز لأعلي، وتشير التجارب إلى أن الأولاد في السابعة يتفوقون على البنات في ارتفاع قفزاتهم

العمودية، وعمومًا فإن الأطفال الذكور يميلون إلى التفوق على البنات في المهارات الحركية بعد سن السابعة.

وفي صورة أخري من النمو الحركي وهو الحجل على قدم واحدة في خطوط أفقية، وهي مشابهة للعبة الحجلة حيث يقفز الطفل علي قدم واحدة فوق مربعات مرسومة على الأرض، ولا تحدث هذه المهارات الحركية في القفز والحجل إلا بعد وصول الطفل إلى السادسة من عمره حيث يقفز بدقة ويتمكن من الانتقال من مربع لآخر. وتشير الدراسات أن البنات يتفوقن على الأولاد في هذا الاختبار، كما أن الأولاد يُظهروا تحسنًا ملحوظًا في هذه المهارة من السادسة حتى التاسعة بعد أن يصلوا إلى الاستقرار.

٢- مهارة لعب الكرة:

يلعب أطفال المدرسة الابتدائية الكرة في طرق مختلفة كما أن الاشتراك في هذه النشاطات يُسهم في عملية تطبيع الطفل اجتماعيًا، بالإضافة إلى تكوين مفهومه لذاته.

وبتقدم العمر الزمني يتمكن الأطفال من رمي الكرة لمسافات أطول، ويتفوق الأولاد على البنات في طول رميات الكرة في جميع أعمارهم الزمنية، ودقة وضبط رمي الكرة تتحسن بمرور العمر، وتُشير الدراسات إلى أن الأطفال الذكور عادة ما يكونوا أكثر دقة وأحكامًا بصورة نسبية من البنات اللائي في مثل عمرهم الزمني.

وكمبدأ عام، فإن الإمساك بالكرة عادة ما يكون أصعب من رميها، فمهارة الطفل في إمساك الكرة تعتمد بصورة جزئية على حجم الكرة والسرعة التي تُلقى بها، وأشارت احدى الدراسات إلى أن قدرة الأطفال على تقدير الإمساك بالكرة التي رميت إليهم، ولقد اتضح تغيرات تدريجية في هذه المهارة، ولوحظ أن الأطفال ما بين ٦ إلى ٨ سنوات لم يتصفوا بالدقة في تقدير مسار الكرة، وتوصلوا إلى ذلك عندما وصلوا إلى العاشرة من عمرهم، ولم توجد فروق بين البنين والبنات.

كما لُوحظ أن البنات يتفوقن على الأولاد في لعب الحجلة، ويتفوق البنين في ضرب الكرة، ويعزى ذلك إلى أنهم عادة ما يتدربون على ذلك ويلعبون الألعاب المتطلبة لهذه المهارات مع بعضهم البعض.

ثالثًا: النموّ العقلي

حيث يتمكّن الطفل في هذه المرحلة من إدراك الأشياء بصورة كلّية، كما يعتمد على التفكير الواقعي، والتخلي عن الخيال نسبيًا، إضافة إلى أنّه يعتمد على الصور البصرية في تفكيره، ويميل إلى الاستيعاب، والحفظ.

رابعًا: النمو الانفعالي

الطفل في هذه المرحلة لا يصل إلى النضج الانفعالي، وهو قابل للاستثارة الانفعالية ويكون لديه بعض الغيرة والتحدي والعناد، وتتكون لدي الطفل في هذه الفترة العواطف والعادات الانفعالية ويحاول الطفل الحصول علي الحب بكافة الوسائل، ويحب المرح، وتتحسن علاقاته الانفعالية مع الآخرين، ويشعر بالمسئولية ويستطيع تقييم سلوكه.

ويتعلم الطفل في هذه المرحلة أن يشبع حاجاته بطريقة بناءه أكثر من محاولة إشباعها من خلال نوبات الغضب كما كان في المرحلة السابقة.

خامسًا: النمو الاجتماعي

تتميز هذه المرحلة ببطء النمو الاجتماعي إذا ما قورنت بالمرحلة السابقة عليه أو المرحلة اللاحقة له، وتكون هناك حاجة كبيرة للإشراف الأبوي القريب الكامل، فعادة ما ينشغل أطفال المدرسة في لعبهم واستكشاف عالمهم من حولهم، والتعلم من الناس والأشياء، أي يعيشون للمتعة في اللحظة الحالية، وعادة ما يشار إلى سنوات المدرسة المبكرة بأنها سنوات ذهبية لمرحلة الطفولة.

وبمجرد دخول الأطفال إلى المدرسة، عادة ما يصبحوا أقل اعتمادية على أسرهم، كما أن تركيز علاقاتهم الشخصية المتبادلة تتغير تدريجيًا من آبائهم إلى أقرانهم وإلى المجتمع الأكبر، وبالتالي نجد اتجاهات الرفاق ذات تأثير متزايد في شخصية الطفل. ومن جهة أخرى نجد

وكالات وأشخاص أخرون يمارسون التأثير في عملية التطبيع الاجتماعي التي يلقاها الأطفال في سن المدرسة، مثل المدرسون ووسائل الإعلام ودور العبادة والأقران.

ويقابل الأطفال عند دخول المدرسة مجموعة من التحديات، ومن أولها أنهم يجب أن يتخلوا عن كثير من أنماط اعتمادهم السابق على أبويهم وعلى بيئتهم المنزلية، ويقضون وقت أكبر مع أشخاص وأطفال غير مقربين إليهم، وعمومًا فإن المدرسة بما تحويه من نظام وأشخاص تؤثر تأثيرًا فعالاً في نمو شخصية الطفل.

ومن أهم مظاهر النمو الاجتماعي في هذه المرحلة ما يلي:

١- تكون طاقات الطفل في سن السادسة على العمل الجماعي مازالت محدودة غير واضحة.
٢- تتسع دائرة الاتصال الاجتماعي ويزداد تشعبها، وهذا يتطلب أنواعًا جديدة من التوافق.
٣- الطفل في هذه المرحلة يتوقف سلوكه الاجتماعي في المدرسة مع أقرانه وبيئته المحلية ومع طبقته الاجتماعية على نوع شخصيته التي نمت نتيجة لتعلمه من الماضي في المنزل والبيئة المحلية وفي دار الحضانة إذا كان قد مر بها.
٤- يكون اللعب جماعيًا، ومن خلال اللعب يتعلم الأطفال الكثير عن أنفسهم وعن رفاقهم وتحقيق المكانة الاجتماعية.
٥- تكثر الصداقات عن ذي قبل لازدياد صلة الطفل بالأطفال الآخرين في المدرسة. وتكون الصداقات محدودة في هذه المرحلة ويعتبر الطفل أصدقائه حلفاء له بعد أن كان يعتبرهم منافسين له في المرحلة السابقة، ويهتم الطفل بالأصدقاء أكثر من أفراد الأسرة.
٦- يزداد التعاون بين الطفل ورفاقه في المنزل والمدرسة وتكون المنافسة في أول هذه المرحلة فردية ثم تصبح في آخرها جماعية في الألعاب الرياضية والتحصيل المدرسي.
٧- تميل الزعامة في هذه المرحلة إلى الثبات النسبي، وأهم خصائصها هنا ضخامة التكوين الجسمي وزيادة الطاقة الحيوية والنشاط اللغوي والعضلي وارتفاع نسبة الذكاء والشجاعة والانبساط.
٨- يكون العدوان والشجار أكثر بين الذكور والذكور، ويقل نسبيًا بين الذكور والإناث، ويقل جدًا بين الإناث والإناث. ويميل الذكور إلى العدوان اليدوي، أما الإناث فعدوانهن لفظي. ويُلاحظ أن مشاهدة نماذج العدوان لدي الكبار تزيد من السلوك العدواني عند الأطفال.

وبالإضافة إلى ذلك فإن من أهم سمات النمو الاجتماعي في هذه المرحلة ما يلي:

١- السعي الحثيث نحو الاستقلال.

٢- بزوغ معان وعلامات جديدة للمواقف الاجتماعية.

٣- تعدل السلوك بحسب المعايير والاتجاهات الاجتماعية وقيم الكبار.

٤- اتساع دائرة الميول والاهتمامات.

٥- نمو الضمير ومفاهيم الصدق والأمانة.

٦- نمو الوعي الاجتماعي والمهارات الاجتماعية.

٧- اضطراب السلوك إذ حدث صراع أو معاملة خاطئة من جانب الكبار.